

الثالث الجامعي !

للكون زكي مبارك

هذا العنوان من ابتداء الأديب حسين فهمي صادق ، وقد نصّ في خطابه على أنه يعني به الأزهر وجامعتي فؤاد وفاروق ، وهو يسأل عن جوهر الحياة العلمية والأدبية في هذه الجامعات الثلاث ، ويطلب أن « تظهر شيئاً يعلن من نفسه على رءوس الأشهاد »

ومن قبل هذا الخطاب قرأت في مجلة الصباح مقالاً يسألني فيه الأستاذ عبد الحليم عبد البر عما صنع الأزهر وما تمت دار العلوم في تخرج الأدباء ، وكان من رأيه أن دار العلوم لم تخرج في ستين سنة ستين أديباً وأن الأزهر لم يخرج في ألف سنة ألف أديب (١٤)

وأقول إن الفكرة الجامعية لم تُشرح في مصر على الوجه الصحيح ، ففي مصر أقوامٌ يتوهمون أن محصول الجامعة هو محصول مدرستها في النواحي العلمية والأدبية ، وهذا خطأ ، لأن أساتذة الجامعات لهم صفةٌ غير صفة التأليف ، هم يوجهون ولا يُبدعون ، إلا أن يكون فيهم رجالٌ مفطورون على الإبداع الأستاذ في الجامعة لا يطالب بالمساهمة الملمية في نشر الثقافة العلمية والأدبية ، وإنما يسأل عن الصدق في توجيه الطلاب إلى فهم دقائق العلم الذي تخصص فيه ، ومن حقه أن يتسم بالخلو على أنه تشریف ، ومن واجب الدولة أن تثبته عليه ، حين يصح عندها أنه نخل لا نخود

الأستاذ في الجامعة مسئول عن رعاية الأستاذية ، والأستاذية نشأت في جوّ الرهبانية ، فما يجوز له ما يجوز لسائر الرجال من مسابرة المجتمع في جميع الأحوال ، إلا أن يكون فيلسوفاً يأخذ مادته الفلسفية من درس الأحلام والأهواء والأضاليل ، وهذا نموذج لا يوجد في كل يوم ، وإنما تُبدعه الأقدار من حين إلى حين

لأساتذة الجامعة واجبات نرجو أن يعرفها تلاميذهم على النهر الذي نريد ، وتلك الواجبات ترجع في مجملها إلى خصيصة

أساسية ، هي الفناء المطلق في الدرس والبحث والتنقيب ، ولو انتفى الأمر إلى أن يعيشوا بجهولين

فإن لم يكن بدٌّ من أن تعرف الجامعة إلى الجمهور فذلك واجب الحرّيجين ، لا واجب المدرسين . وإليك الشواهد الآتية :

١ - نشاط كلية الحقوق لا يتمثل في دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من القضاة والمحامين ، وهؤلاء هم البرهان على قوتها الذاتية

٢ - نشاط كلية الآداب لا يتمثل في دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من المؤلفين والترجمين والمدرسين والمفكرين ، وهؤلاء هم البرهان على قوتها الذاتية

٣ - نشاط كلية الهندسة لا يتمثل في دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من كبار المهندسين ، وإليهم يرجع الفضل في شؤون تفوق الإحصاء

٤ - نشاط كلية الطب لا يتمثل في دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من أطباء لهم مراكز ممتازة في مصر والشرق

٥ - نشاط كلية الزراعة لا يتمثل في دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل في خريجيها التوابغ ، وقد أدوا خدمات جديرة بالشناء

٦ - نشاط الأزهر لا يتمثل لأساتذة الأزهر ، وإنما يتمثل تلك الجيوش التي أخرجها الأزهر من وعظ وأساتذة وقضاة وباحثين

٧ - نشاط دار العلوم لا يتمثل لأساتذة دار العلوم ، وإنما يتمثل المدرسون الذين أنجبهم دار العلوم ، ولهم في كل بلدة مصرية صوت

وعلى هذا يقاس ، فالأساتذة يوجهون ولا يُبدعون ، وأنا أرى أن المعاهد المصرية أدّت واجبها خير الأداء ، فهي جديرة بالتبجيل .

هذا هو الرأي في تقدير الذاتية الجامعية من ناحية الصلة الخارجية ، ولكنني مع ذلك أرى من الواجب أن أرجع إلى هذا الرأي بشيء من التعديل فأقول :

يبدو لي أن ابتعاد الأساتذة عن المشاركة في الجانب العلمي من الحياة العلمية والأدبية يبرئهم لخطرين ، فهو أولاً يهون أقدارهم في أنفس الطلاب ، وهو ثانياً يضيع عليهم فوائد كثيرة ،

التي يوجيها ضم كلمة إلى كلمة في الحدود التي يوجيها روح البيان
الكلمة في المعجم غير الكلمة في الجملة ؛ هي في المعجم
سمكة محنطة ، وهي في الجملة سمكة حية ، وبين موت الكلمة
وحياتها برزخ لا يعبره إلا من يملك إقازها من الموت ،
وهو الأديب الفنان

ومن مقاتل الأستاذية في الأدب لهذا العهد أن بعض
الأستاذة لا يلتفتون إلى الوشائج الأصيلية بين الأدب وسائر
العلوم والفنون ، مع أن أسلافنا نصوا على هذه الوشائج منذ
أجيال وأجيال .

كل ما في الوجود مواد أساسية لعقل الأديب ، وروح
الأديب . هو مشغول عن فهم جميع الحقائق بقدر ما يستطيع ،
وفي حدود ما يطيق

فهل ترون أستاذ الأدب يقل في المسئولية عن الأديب ؟
آفة الأستاذية في هذا العصر أنها سارت وظيفه ، وجو
الوظائف عجيب غريب . ألم تسمعوا أن رجالاً تركوا كراسيهم
في الجامعة ليظفروا بوظائف ضخمة الرواتب ؟

الغرض من هذا الكلام هو توجيه أستاذة الأدب إلى فهم
واجباتهم الحقيقية ، وأنا أحذركم عواقب ما اطمأنوا إليه من
الرضا بزخرف الحياة الجامعية ، فزمام التوجيه الأدبي كاد يضيع
من أيديهم ، إن لم يكن ضائع

كان في مصر قتال بين الأفندية والشافعية ، وكان المفهوم
أن الأفندية رجال الدنيا وأن الشافعية رجال الدين
ثم دار الزمن دورته فأصبح كتاب المباحث الإسلامية
رجالاً مطربشين ، أشهرهم فريد وجدي ومحمد هيكل وعباس العقاد
وإن طال سبات رجال الأدب من أهل « الثالوث الجامي »

فستكون لهم مصائر لا يعلمها غير علام النيوب
أذهان الطلاب في الجامعات الثلاث محتلة بأفكار وآراء
لم تصدر عن تلك الجامعات ، فمن يمن على هؤلاء الطلاب بنعمة
الاستقلال ؟

من يدري ؟

لعل الخيرة فيما اختاره الله ! ولعل الله أراد أن تكون وظيفة
الأدب وظيفة روحية لا رسمية ! ولعل الله أراد لطلبة الجامعات

فوائد تخلقها مواجهة المجتمع في موجاته النفسانية والروحية
والذي يعرف شيئاً من أحوال الشبان يلاحظ أن استفادتهم
مما يقرأون تفوق استفادتهم مما يسمعون ، فهم تلاميذ للكتاب
والمؤلفين قبل أن يكونوا تلاميذ لأستاذة السكيات . وهذه
الظاهرة لا تحتاج إلى توضيح

وإذن يجب على أستاذة الجامعة أن يخلقوا لأنفسهم جوّاً
خارجيّاً يساعد على تجديد الهواء في جو الكليات ، ويشعر
الطلبة بأن لأستاذتهم قدرة على فهم ما في المجتمع من آلام
وآمال ، ويبدد الشبهة التي تزعم أن الأستاذة يعيشون
في زمانهم غرباء

والحق أن الأدب الذي يقف عند درس الكتب وتحقيق
الأسانيد هو « أدب المجامع » لا أدب الأرواح

والنصوص القديمة لا تفهم جيداً إلا إذا عولجت بالروح
الجديد ، وقد كان أستاذنا برونو يوصينا بأن نتسمع لما يدور
من المحاورات في قهوات باريس ، عسانا نستفيد شيئاً من المرونة
التي يبدعها الحوار الخالي من شوائب التكلف والافتعال

والحق أيضاً أن الرهبانية التي حاصرت حياة الأستاذية
لم يبق لها في هذا العصر مكان ، فهي ترمت موروث عن عصور
الرياء ، وهي الثوب الذي يدارى الهزال عند بعض المهازيل
هل تعرفون السبب في ضعف الفكرة التشريعية عند مدرسي
القوانين في هذا الجيل ؟

يرجع السبب إلى أن أكثر أولئك المدرسين لم تكتو
أيديهم بنيران المعاملات ، فلم يعرفوا احتياج التشريع إلى
التجديد الموصول

وسأني يوم نعرف فيه أن تدريس القوانين يجب أن يוכל
إلى قدماء المحامين ، لأن ضلّتهم بما في المجتمع من متاعب
ومصاعب تبصرهم بما يعتور الفكرة التشريعية من عقابيل

وما يقال في أستاذة الحقوق يقال في أستاذة الآداب
فأستاذ الأدب يجب أن يكون أديباً بالقول والفعل ، أديباً
مبدعاً لا أديباً مدرساً ، أديباً من رجال الصناعتين : صناعة
الشعر وصناعة الكتابة

بين الكلمة والكلمة صلات لا يدر كها إلا من عانى المسكاره

بذلك تتوحد إلى الأغنياء من الطلبة الغريباء

وكان الأمر كذلك بالفعل ، وكانت النتيجة أن لا تقيم الحكومة المصرية وزناً للشهادات الألمانية ، لأنها شهادات مبدولة بلا تعب ولا عناء ، كالشهادات التي تعطىها أمة الظليان ثم ظهر أن لألمانيا سريرة غير سريرة السوربون ، وهى النية المستورة لأ كابر الفلاسفة من الألمان

وهنا أشهد أنى قرأت بالفرنسية نحو خمسين كتاباً تصور انحلال الألمان من الناحية المعنوية بسبب طغيان الشهوة الجنسية فهل التفت الألمان إلى هذا الاتهام الخسيس ؟

مضوا يعملون في السرايب الخفية ليلقوا خصومهم بعد حين أو أحيان

أما بعد فالأدب عندى هو أن تسبق زمانك ، وأن تقتل خصومك . الأدب عندى أن تكون قوة تزلزل الزمان ، ولا تقنع بشهادة التاريخ

لأساتذة الجامعات شواغل من الملاوات والترقيات والدرجات ، فدعهم فى غيهم بعمهون ، واجمل همك الأول والأخير أن ترفع راية القلم البليغ زكى مبارك

بعد نفاذ الطبعة الأولى الممتازة

صدرت طبعة جديدة خاصة فى حجم متوسط من

أرواح وأشباح

بطلب من جميع المكتبات فى مصر والشرق العربى
نعم النسخة ٢٠ قرشاً عدداً مضافاً البريد

حكم اللجنة ٩٠٤ عسكرية النيا سنة ١٩٤٢ بمجلة ٣٠-١١-١٩٤٢
بتفريم محمد عتيلى بقال بنهدال غمة جنهيات وغلقي الحل أسبوع ليعه
سكرا بأزيد من التعميرة

حكم فى اللجنة العسكرية ن ١٣٦٠ النيا سنة ١٩٤٢ بمجلة
٢-١٢- سنة ١٩٤٢ بتفريم محمود محمد أبو بكر خمسون جنهيات وغلقي
الحل أربعة أيام ليعه لم بأزيد من التعميرة

خيراً مما تريد ، فأباحهم ما فى الحقائق الخصوصية والعمومية من أزهار وثمرات

• من يدري ؟ من يدري ؟

الهواء الطلق هو الأصل ، وهل تنفّس سقراط وأفلاطون فى كلية لها جدران وأبواب ؟
الحرية الروحية والعقلية هى أساس العبقرية ، ولا حياة لأدب لا يتمتع بحرية العقل والروح

لم تقبل جامعة باريس أن يكون جوستاف لوبون أستاذاً للفلسفة بالسوربون ، لأنه دكتور فى الطب لا فى الآداب ، فهل أنصفت جامعة باريس ؟

وهل كان أستاذنا فلان الذى أضحكنى مضغه للألفاظ اليونانية الميتة أعرف بدقائق الفلسفة من جوستاف لوبون ؟

كان أستاذنا ذاك مقبول الرأى فى أكثر ما يقول ، إلا حين يعضغ الألفاظ اليونانية ، وعند الدكتور مصطفى زبور نواذر لذلك الأستاذ الجليل ١

كنا ندخل عليه فيهلونا أن نراه يترجم ويترجم بأسلوب فظيع ، وهو يعرف أن اليونانية القديمة لن تبعث أبداً ، وهل بعثها اليونان حتى يبعثها الفرنسيين ؟

الآن فهمت كيف احتلت برلين باريس ؟

كان الأساتذة الذين راجعون رسالتى المقدمة إلى السوربون بكرهون أن يقع فيها بيت من الشعر ، لأن موضوعها هو النثر الفنى

وشكوت هذا التحكم إلى الميسر ديوييه فقال : إن جامعة باريس محملة بالفكر الألمانى منذ انتصار الألمان فى حرب السبعين ، والألمان غاية فى التدقيق والاستقصاء
نم ماذا ؟

ثم عرفت بعد لآى أن الألمان خدعوا الفرنسيين بزخرف الوسوسة البحثية ، ليصرفوهم عن التفكير فى إعداد وسائل الموت لمن يعادون

كانت فرنسا بعد انتصارها فى الحرب الماضية تتوهم أن غاية المجد أن يكون لها معهد مثل السوربون ، وكانت تصرّح بأن الشهادات التى تعطىها الجامعات الألمانية شهادات تجارية ، وأنها